

## ◀ الهندسة الجديدة للموقف الاميركي

- تمة المنشور في الصفحة ١ -

و"الواشنطن بوست" ليست مطبوعة عادية، والموقف لا يخلو من الشجاعة، والزمان لا يبدو في المطلق هو الانسب ما دام ان احد اشرس سياسيي اسرائيل يتربع اليوم على رأس حكومتها. ويصعب على من تعرف الى الموقع الحقيقي للسفراء العرب في واشنطن ان يهمل لنجاحهم في تغيير وجهة احدى أهم مؤسسات الاعلام في اميركا، فيحتفي بنصرهم المبين، ذلك انهم اعجز عن انجاز كهذا، فرادى ومجتمعين، ومعهم مكتب منظمة التحرير الفلسطينية هناك، ومكتب جامعة الدول العربية، وجمعيات العرب الاميركان.

لذا اقتضى البحث عن سبب هذا التحول في مكان آخر، وبالذات في قلب الجالية اليهودية الاميركية التي افادنا استطلاع للرأي نشر الاسبوع الماضي ان ٨٢ في المئة من اعضائها يؤيدون قيام دولة فلسطينية مستقلة، بينما قبل ٨٤ في المئة منهم ان تمارس الحكومة الاميركية الضغوط لا على عرفات فحسب بل على نتنياهو أيضاً، فيما ايد ٧٩ في المئة وقفاً - ولو مؤقتاً - للاستيطان اليهودي في المناطق الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧.

يمثل موقف "الواشنطن بوست" بالتالي مرآة لانقلاب عميق جرى ببطء في توجهات اليهود الاميركيين. والحدث مهم بالذات لأن الحكومة الاميركية في ظل رئاسة كلينتون بدت لخمس سنوات متتالية كأنها جرت عملية السلام في الشرق الاوسط لقيادات تلك الجالية. وبدا كلينتون في الاجمال كأنه مجرد ناطق رسمي باسم تلك المجموعة العرقية - الدينية، يرى ما تراه، يؤيد ما تقوله، ولا يقدم على مبادرة دون استحصال مسبقة على موافقتها. فان هي دعمت في المطلق حكومة اسرائيل فهو يجارها ما ذلك. وان هي اصرت على ابقاء العقوبات المفروضة على العراق فهو مقيماً. وان هي حرخت ضد اي تطبيع مع ايران فانه يخضع لمشيئتها ذاهباً الى حد توقيع "قانون دامتو" ضد ايران وليبيا بالرغم من معرفته الاكيدة بنواقص ذلك القانون وبآثاره الوخيمة على المصالح الاقتصادية الاميركية. وان تأفقت الجالية اليهودية من موقف مصر القومي عبر كلينتون عن صدى ذلك التأفف... ناهيك بالمواقف العديدة من نشاط روسيا التصديري الى الشرق الاوسط، ومن موضوع حقوق الانسان في دول الخليج، ومن الاصولية الاسلامية وغيرها من المواقف وجميعها ينم عن نوع من الرضوخ العفوي في الحكومة لما تراه تلك الجالية حسناً لاسرائيل وبالتالي مفيداً لاميركا.

لذلك لم يأت تسلم مجموعة من اليهود الاميركيين لمجل ملف التسوية في الشرق الاوسط وليد المصادفة. فقرار الحكومة تجيير الملف للجالية كان يقتضي تسليمه عملياً لافراد ينشقون من صفوفها بدءاً بمدالين اولبرايت نفسها ومروراً بصموئيل برغر ودنيس روس ومارتين انديك وآرون ميلر وغيرهم. ويمثل هؤلاء، في الآن معاً، ارتكازاً شبه مطلق على الجالية في عملية وضع السياسة الاميركية كما في تنفيذها، لكنهم يمثلون ايضاً التنوعيات العميقة والمتزايدة داخل تلك الجالية. فبينما كان برغر، قبل تسلمه المنصب الامني الاول في البيت الابيض، من مناصري حركة "السلام الآن" الاسرائيلية المعتدلة، كان مارتن انديك، لسنوات طويلة، على رأس "اللوبى" المؤيد في المطلق لاسرائيل في الكونغرس، بل المزايدي احياناً في صهيونيته على الحكومة الاسرائيلية نفسها.

لا تطالب الـ"واشنطن بوست" البتة بوقف هذا التجيير. وهي لا تطالب، مثل بعض الكتاب الاميركيين من غير اليهود، من امثال جيمس بيكر وبرنت سكوكروفت وصموئيل هانتفتون (وكلمهم عملوا في السابق في الحكومة الفيدرالية) بسحب ملف الشرق الاوسط من ايدي اليهود الاميركيين، لاعادته الى اشخاص اكثر حيادية، دينياً وسياسياً. ليس هذا هدفها، ولا هي تريد ان يكون للعرب - الاميركيين او ممثلي الدول العربية تأثير اكبر على توجهات الدبلوماسية الاميركية. فمضى الجريدة لا يريد تحولا من هذا النوع، واصحابها لجل كتابها هم ايضاً من اليهود الاميركيين. تريد "الواشنطن بوست" فقط ان تقول للادارة ان عليها ان تغير موقفها من قيام الدولة الفلسطينية بالذات لأن موقف اليهود الاميركيين قد تغير من هذا المشروع في اتجاه دعم تنفيذه. فاذا كانت الحكومة الاميركية تريد مجازاة الاقلية اليهودية في اميركا، وتريد بالتالي انقاذ مبادرتها للتسوية في الشرق الاوسط، فعليها اذن ان تعلن صراحة سعياً لقيام تلك الدولة.

وإذا اتبعت الحكومة الاميركية هذه النصيحة (وبقيني انها ذاهبة في هذا الاتجاه) فانها تكون قد حققت تحولا مثلث الاضلاع:

## الهندسة الجديدة للموقف الاميركي

بقلم غسان سلامة

يوم عادت وزيرة الخارجية الاميركية مادالين اولبرايت من جولتها على بلداننا، استقبلتها صحيفة العاصمة الاميركية الاولى، "الواشنطن بوست"، بافتتاحية عنوانها: "ما لم تقم به اولبرايت". وان كنا نحن ادري، في المنطقة، بكل نواقص تلك الجولة، فان الجريدة الاميركية كان لها على اولبرايت مأخذ واحد اساس هو انها لم تستغ من زيارتها للمنطقة لكي تعلن تأييد الولايات المتحدة الرسمي والصريح لقيام دولة فلسطينية مستقلة. ولم يصدر هذا الموقف باسم احد كتاب الصحيفة، بل باسمها ككل، مما اعطاه مقداراً كبيراً من التأثير.

والواقع ان هذا الموقف كان الثالث، في الاتجاه عينه، في نحو شهر من الزمن اذ ان الصحيفة نفسها كانت فاجأت عموم قرائها، وهم اجمالاً من النخبة الحاكمة في اميركا، بنوع من الانقلاب الذهني الكامل في ٧ آب الماضي عندما دعت صراحة، وللمرة الاولى في تاريخها، الى تحول جذري في الدبلوماسية الاميركية نحو تبني قيام الدولة الفلسطينية المستقلة. ثم عادت الصحيفة فكرت الموقف نفسه في ٩ ايلول وهو يوم بدء جولة اولبرايت على المنطقة. وعندما بدا ان اولبرايت لم تأخذ بنصيحة الجريدة، اتبعتها "الواشنطن بوست" على قلة شجاعتها في مقال ثالث يوم ١٤ ايلول بالمعنى نفسه.

هذا الالاح المتشدد على ضرورة حصول تبدل عميق في السياسة الاميركية اثار انتباه الادارة والنخبة في اميركا واسرائيل، كما اثار بالطبع فضولنا في التتمة في الصفحة ١٦ -

- في هندسة المبادرة الاميركية اولاً. ذلك ان الديبلوماسية الاميركية قد سعت منذ مؤتمر مدريد وبإصرار دائم، لتجنب التعبير العلني عن ماهية ومضمون الحل النهائي للمعضلة الفلسطينية، إذ كان الوسطاء الاميركيون على تنوعهم يكررون القول ان واشنطن تقبل سلفاً بما يتوافق عليه المتفاوضون من الطرفين وان لا موقف مسبقاً لها من نتائج ذلك التفاوض (وهو موقف سلبي وملتبس كان يؤثر حفيظة الاطراف العرب، وانتقاد الدول الاوروبية التي حددت منذ "بيان البندقية" الشمير ان لا حل في المنطقة دون احترام حق تقرير المصير الفلسطيني). لذا، فإذا تجرأت أولبرايت وقالت بوضوح ان هدف واشنطن هو قيام الكيان الفلسطيني المستقل فهي تكون قد سجلت خروجاً واضحاً على اسلوب سابقها في المنصب وعلى فلسفة مدريد، وهي تكون فعلاً قد تبنت الاسلوب الاوروبي القائل بأن لا حل للمعضلة الفلسطينية الا بقيام الوسطاء بأكثر من دور ساعي البريد، او من دور مجرد المسهل لحصول التسوية، اي بمبادرتهم لتحديد ملامح الحل المفترض التوصل اليه في نهاية التفاوض. والواقع ان الرئيس كلينتون نفسه (لاسيما في تصريحاته على هامش مؤتمر حلف شمال الاطلسي في مدريد على تموز الماضي)، ومادلين اولبرايت نفسها (التي يغلب الحزم على طبعها اكثر من التردد او الخنز) بدأاً بلامسان هذه الهندسة الجديدة دون ان يتجرأ بعد على تبنيها. وهذه الخطوة الجوهرية هي بالذات تلك التي تطالب بها "واشنطن بوست"، وقبلها مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك، وهو ايضا مؤسسة اميركية عريقة لليهود الاميركيين وموقع مميز في ادارته، وكان قد توصل في ايار الماضي الى الخلاصة نفسها ومقارنها ان لا نجاح ممكناً لوساطة الاميركية اذا لم تتبن الادارة الاميركية نفسها هدفاً واضحاً هو السعي لقيام دولة فلسطينية مستقلة.

- في العلاقة بين الحكومة الاميركية واليهود الاميركيين، ثانياً هـ "واشنطن بوست" مثلها مثل "مجلس العلاقات الخارجية"، لا تريد ان تضعف تلك العلاقة او ان تنتفي. وهي تريد من الحكومة ان تقلل من اعتمادها على المتبرعين اليهود، وان تزيد من اصفائها الى الناخبين اليهود. ذلك ان وزن اليهود الاميركيين، على الرغم من تركزه في عدد من الولايات الاساسية مثل نيويورك وكاليفورنيا وفلوريدا، ليس حاسماً فعلاً في المعارك الانتخابية الكبرى إذ انه لا يمثل اكثر من 3 في المئة من مجمل الناخبين الاميركيين. صحيح ان اليهود الاميركيين اكثر اشتراكاً في الاقتراع من معدل التصويت في اميركا. وصحيح ايضا انهم يمثلون قاعدة مهمة للحزب الديموقراطي منذ مطلع القرن. ولكن تجمعات دينية وعرقية اخرى باتت تمثل وزناً اكبر بكثير كالسود - الاميركيين، والاميركيين من اصل ايطالي او بولوني او حتى العرب الاميركيين الذين باتت نسبتهم من المقترعين تكاد تكون ضعفي الناخبين اليهود.

لكن التأثير اليهودي لا يعتمد على عدد المقترعين بمقدار اعتماده على تبرعات الاثرياء اليهود للمرشحين الاميركيين لمختلف المناصب الرئاسية والنيابية. فقد نشر اخيراً في واشنطن تقرير يفيد ان نحو نصف التبرعات التي حصل عليها الحزب الديموقراطي في المعركة الرئاسية والنيابية الاخيرة (1992)، جاء من مصادر يهودية. والواقع ان هذا التمويل الكثيف لا يسير اجلاً في اتجاه التسوية في الشرق الاوسط. فالمتبرعون الاكثر ثراءً في الجالية لا يمثلون في الحقيقة توجهاتها الغالبة وبينهم من هم من امثال المليونير الشرير موسكوفيتز الذي تبرع باصرار بثروة طائلة لطرد العرب من القدس بهدف تهويدها بالكامل. لذا بدأت الاصوات تتعالى داخل الجالية اليهودية نفسها بضرورة تحرير الادارة من وطأة هذا الاقطاع المالي اليهودي المائل نحو التطرف بهدف الاستماع الى رأي الناخبين اليهود العاديين الاكثر قبولاً لمبدأ التسوية والذين باتوا يؤيدون في اكثريةهم الساحقة تسوية جغرافية تقبل بقيام دولتين على ارض فلسطين: اسرائيل من جانب وكيان فلسطيني مستقل من آخر. ونرى من اصحاب هذه الدعوة زعماء مرموقين في الجالية مثل تيودور مان الرئيس السابق لمجموعة رؤساء المنظمات اليهودية في اميركا، والحاخام اريك يوفي رئيس اتحاد المجموعة الاصلاحية داخل الجالية وهي مجموعة تضم نحواً من 1,5 مليون عضو، والكاتب جوزف غولدربرغ صاحب كتاب "القوة اليهودية" الذائع الصيت، ومالكولم هوفلان الوجه المؤسسي البارز حالياً في الجالية.

- في دور اميركا في المنطقة ثالثاً. ذلك ان هذا المنحى، لو تطور وتحقق، فإنه سيؤدي عملياً الى قيام يهود اميركا، والحكومة الاميركية نفسها، بمهمة انشاء الدولة الفلسطينية. فما يطالب به التيار الغالب بين اليهود - الاميركيين ليس مجرد الابتعاد عن الاصطفاك المطلق على مواقف تنبأهم، او مطالبته ببعض التنازلات، وانما القبول بأن لا مستقبل لاسرائيل في المنطقة، ان لم تحتم بعد اليوم بدولة فلسطينية تقيها مخاطر رفض وجودها واتساع دائرة العنف ضدها والانعدام التاريخي، بل العضوي، في شرعيتها. فجوهر هذا الموقف ان شرط شرعية اسرائيل في المنطقة، وشرط قفل ملف قيامها العدواني، هو تسنم من اوجدتها وحماها ودعمها ودججها بالسلاح ودفعها الى طليعة الدول الصناعية، اي الولايات المتحدة، لمهمة تاريخية جديدة هي ايجاد دولة اخرى، تعطي هذا الكيان شرعية البقاء، وتحمي يهود الشتات في الآن عينه من اتهام متزايد بمنع قيام تسوية في الشرق الاوسط وتهديد مصالح الولايات المتحدة في ارجائه.

انها بالتالي خطوة دفاعية، احترازية، وقائية، تحمي يهود اسرائيل ويهود الشتات في آن معا. والتعبير عن هذا المنحى مثير للاهتمام فعلاً، إذ نراه يتبلور بالذات في الذكرى المئوية الاولى لمؤتمر بال الصهيوني، كأن يهود الشتات بدأوا يخاطبون ابناء دينهم في اسرائيل، بان فاتورة المشروع الصهيوني باتت على الطاولة وينبغي تسديدها بسرعة. بقي ان يستمع كلينتون وأولبرايت للنصيحة، اي ان يتحوّلوا من الاعتماد على ائرية الطائفة للاستماع الى غالبية ناخبها، وان يبدوا اهتماماً اكبر برأي مواطنيها من يهود اميركا بدل التأثير بملوسات حلفائهما من "ليكود" اسرائيل، الم يكتب احد اكبر مؤرخي اسرائيل المستعرب موشيه معوز، غداة العملية الانتحارية في القدس منذ اسابيع، ان "قيام الدولة الفلسطينية بات الضمان الوحيد لوقف اراقة دم اليهود"؟.

غسان سلامة